الأوبئة البيطرية وآثارها الاقتصادية والاجتماعية والصحية على مصر في عصر إسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩م

دكتــور
فوزى السيد المصرى
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة طنطا

١٩٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

كان تفشى الأوبئة البيطرية فى مصر فى عصر اسماعيل له آثار خطيرة على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والصحية فى مصر، كما كان لها أثر كبير على دخول مصر إلى عصر التكنولوجيا الحديثة، وإذا كانت الأوبئة البيطرية فى مصر فى تلك الفترة قد أثرت على الأحوال الإقتصادية والاجتماعية والصحية سلبيا فإنها من جهة أخرى أثرت إيجابيا على دخول التكنولوجيا إلى مصر حيث وجد إنه من الأفضل اقتصاديا الاعتماد على قوة البخار فى المزارع الكبيرة بدلا من الاعتماد على الماشية.

وكانت الأوبئة البيطرية منتشرة فى مصر منذ فترة طويلة قبل عصر اسماعيل،حيث كانت موجودة فى عهد جده، إذ تفشت الأمراض بين الماشية ولم تكن هناك أدوية لعلاجها [١]، كما لم تكن هناك أدنى عناية طبية علمية بها - فى بداية عهده - وكانت تترك لتلقى قدرها المحتوم ، أما الخيول فكان يقوم على علاجها البياطرة الذين أخذوا فنهم بالممارسة من غير دراية أو علم [٢]. ورغم اهتمام محمد على بطب الحيوان واستدعائه طبيبين بيطريين من فرنسا لعلاج الحيوانات المريضة إلا أن هذا النوع من الطب لم يتقدم إلى الأمام فى البداية بالسرعة التى تقدم بها

(١) Hamont, P.N.,: Le Egypte Sous Mohamed Ali, P. 127.

(٢) Dunne . J. H, : An Introduction to the history of education in Modern Egypt. P. 132.

طب الإنسان، لأن الناس لم تكن تهتم بصحة الحيوان قدر اهتمامها بصحة الإنسان(١). وظلت الأوبئة البيطرية تفتك بالحيوانات فى عصره رغم انشاء مدرسة للطب البيطرى عام ١٨٢٨م، (٢) تخرج منها العديد من الأطباء البيطريين الذين الحقوا بأسلحة الجيش المختلفة كما أخذوا على عاتقهم مهمة مواجهة تلك الأوبئة(٣).

وعلى الرغم من الجهد الكبير الذى بذل فى سبيل تنظيم تلك المدرسة وتحقيق الهدف المنشود من إنشائها إلا أنها واجهت بعض العراقيل التى أعاقت تقدمها، فعلت الشكوى من انحطاط مستوى خريجيها العلمى(٤)، ورغم ذلك فقد أصبح يقوم على علاج الخيل والدواب لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث طائفة من خريجى المدرسة وبعثاتها إلى أوربا الذين طبقوا العلم على العمل.

---

(١) كلوت بك : ترجمة محمد مسعود، لمحة عامة إلى مصر، ص.ص٦٥٧-٦٦٠.

(٢) أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر فى عصر محمد على، ص٣٠٩، ٣١٠.

(٣) اسماعيل محمد زين الدين : الموظفون الأجانب ودورهم فى الادارة المصرية ١٨٢٠-١٨٨٢، ص٨٧.

(٤) ديوان المدارس : دفتر ٥ مدارس عربى ، جـ٥ ص ٢٦١٨ وثيقة ٣٠٧ ، إلى ديوان الجفالك فى ١١ جماد ثان ١٢٦١هـ.

الوباء فى عام ١٨٦٣:

وعلى الرغم من أن أمراض الحيوان كانت قد أخذت فى الإنحسار فى مصر فى الفترة التى سبقت عصر اسماعيل إلا أنه ما أن تولى الحكم عام ١٨٦٣م إلا وعاودت الأوبئة البيطرية الكرة حيث تفشت بشكل وبائى وبلغ الوباء من حدته أنه قضى على الماشية المستخدمة فى إدارة السواقى والأعمال الزراعية الأخرى مما شكل تهديدا خطيرا لمحصول القطن الذى كان فى طور النمو فى تلك الفترة وكان على الحكومة آنذاك ضرورة اللجوء لاستخدام الخيول والآلات البخارية فى الأعمال الزراعية، مما اضطر الوالى إلى أن يعلن عن عزمه عن شراء أربعين محراثا وطلمبة بخارية لسد حاجة مزارعه[1].

وأمام تفشى الوباء بتلك الصورة المفزعة فلم يكن أمام الحكومة من بد سوى اتباع العديد من الإجراءات الصحية المشددة مثل منع إقامة أسواق الماشية - لمنع اختلاط المواشى ببعضها - وعدم نقلها من قرية لأخرى[2] ، وفرض الحجر الصحى البيطرى على المنطقة التى يتفشى فيها الوباء بعدد كبير من الخفراء[3] ، ودفن الحيوانات النافقة

---

(١) American Archive.Vol.3. Despatch No.36.P. 221.U.S. Consulate General . Alexandria, June, 18, 1863.

(٢) دفاتر معية تركى : دفتر ٥٢٦، ص٨٧ ن٣٦٧ فى ١٠ ذى الحجة ١٢٧٩هـ (٢٩ مايو ١٨٦٣) أمر كريم إلى مدير البحيرة.

(٣) دفاتر معية تركى : دفتر ٥٣٤ ص ٨٢ ، وثيقة ١٨ فى ١٦ محرم ١٢٨٠هـ (٣ يوليو ١٨٦٣م) من مدير المنوفية إلى المعية.

دون سلخها فى حفر عميقة خارج البلدة وعدم إلقائها فى النيل أو فى الترع. وهددت الحكومة بعقاب كل من يخالف تلك الإجراءات بالسجن [١].

وعلى الرغم من تلك الإجراءات الصارمة التى اتبعتها الحكومة لتطويق الوباء ومنع انتشاره إلا أن تلك الجهود باءت بالفشل بعد انتقال الوباء إلى الدلتا وتفشيه فيها خلال أيام قليلة وأدى إلى القضاء على ٨٠٪ من الماشية الموجودة فيها ، مما أدى إلى تفجير مشكلة أخرى وهى حدوث نقص خطير فى اللحوم اللازمة لغذاء الإنسان [٢]. مما اضطر الحكومة إلى إتباع بعض الإجراءات لتعويض هذا النقص مثل الاهتمام بمعامل تفريخ الدجاج والتوسع فيها ، واصلاح المتهدم وإدارة ماكان متعطلا منها ، وكل ذلك بهدف إنتاج الدجاج لتعويض نقص اللحوم ، فضلا عن التوسع فى إنشاء أبراج الحمام للمساعدة فى حل تلك المشكلة [٣].

---

(١) دفاتر معية تركى : دفتر ٥٣١ جـ٢ ، صادر الافادات دواوين واقاليم ، ص٣٥، وثيقة ٣٤ فى ١٦ محرم ١٢٨٠هـ (٣ يوليو ١٨٦٣م) من المعية إلى مدير الغربية .

(٢) American Archive. Vol.3. Despatch No.36 Op. Cit. P. 221

(٣) على شلبى : الريف المصرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ١٨٤٧-١٨٩١ ، ص ٣٤٨.

ولما كـان ذلك الوباء المخيف قد حرم الفلاح من أهم أداه يعتمد عليها فى عمله ، فإن الحكومة لم تجد بدا من استيراد الماشية من الخارج لحل الأزمة فاستوردت مواشى جديدة بسعر مائتين وخمسين دولارا للرأس الواحدة (١). وكانت تستورد من سوريا والاناضول (٢) بالاضافة إلى الاستيراد من السودان (٣).

ولما كانت إعاشة العمال والماشية تستهلك حوالى ثلث غلة الأرض المنزرعة، فقد وجد أنه من الأفضل اقتصاديا أن يتم استخدام البخار فى المزارع الكبيرة حيث أن سعر الفحم غير مرتفع فضلا عن إمكانية الحصول عليه بسهولة من انجلترا والولايات المتحدة (٤).

ومن الجدير بالذكر أن خسارة مصر نتيجة وباء الماشية فى هذا العام بلغت عشرة ملايين دولار فضلا عن المبالغ الأخرى التى انفقت

---

(١) American Archive. Vol. 3. Despatch No. 36. Op. Cit. P.221.

(٢) صالح رمضان محمود : الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر اسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩، ص ١٦٤.

(٣) محافظ معية عربى ، محفظة ٥ وثيقة رقم ٢٠٦ فى ٨ شعبان ١٢٨٠هـ (١٨ يناير ١٨٦٤م) من مفتش عموم عهد وابورات سليم باشا بالمديرية إلي مدير إسنا.

(٤) American Archive. Vol.3. Despatch No.36. Op.Cit. P.221

لاستيراد الماشية وشراء الآلات البخارية لاستخدامها فى الزراعة ، مما كان له أثره الكبير على قيمة الأرباح المتوقعة من أسعار القطن المرتفعة آنذاك(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن نسبة الإصابة بوباء الماشية فى مصر قد انخفضت إلى حد كبير خلال السنوات الثلاث التالية لهذا العام ، بل أنه انقطع تماما من البلاد فى منتصف عام ١٨٦٧م(٢). ورغم هذا فإن الوباء الذى اجتاح مصر عام ١٨٦٣م كان له أثره الكبير على أعداد الماشية التى تناقصت إلى حد كبير لدرجة جعلت الحكومة مستمرة فى سياسة استيراد الماشية ووضعها فى الحجر الصحى لمدة خمسة عشر يوما لمنع انتشار العدوى إلى الداخل من المواشى التى قد تكون مصابة بالوباء أثناء استيرادها(٣).

الوباء فى عام ١٨٦٨:

على الرغم من انخفاض نسبة الإصابة بالوباء فى السنوات الأربع السابقة إلا أنه عاود الظهور مرة أخرى فى مصر فى صيف عام ١٨٦٨م

---

(١) American Archive .Vol .3. Desptch No. 36. Ibid, P. 221 .
ملحق رقم ١

(٢) F.O. 78/1969 No. (.) from Lord Lyons to Lord Stanley, Constantinople,June,26, 1867.

(٣) F.O. 78/1983. No. 9 from H.M.S Consulate to Lord Stanley. Alexandria, March 20 th 1867.

وانتشر بشكل مخيف حيث ظهرت الاصابة به فى (اقليم طنطا) فى شهر يوليو[١]. وبعد يومين فقط من ظهور الاصابة به فى طنطا ظهرت إصابات أخرى فى المنطقة مابين القاهرة والجيزة وأسفر الوباء عن موت نصف أعداد الماشية التى أصابها المرض[٢] ولم يكد يمر شهر على ظهور الوباء فى (اقليم طنطا) إلا وكانت لجنة التفتيش الصحى قد أعلنت عن تفشى الوباء فى محافظات الصعيد وخاصة بنى سويف والفيوم وأسيوط[٣] وتذكر تقارير وزارة الخارجية البريطانية أن تقارير موظفى الصحة ولجنة التفتيش الصحى المصرية كانت تتسم بالغموض الشديد ولاتنم عن شئ سوى انتشار الوباء فقط[٤].

---

(١) F.O. 78/2042. No 17. from G. E.Stanley to Lord Stantley. Alexandria, 5 July, 1868.

(٢) F.O. 78/2041. No. 76. from Edio Stanton to Lord Stanley, Alexandria July 7, 1868.

(٣) F.O. 78/ 2041. Her Majesty's Consulate, Alex- Henry V. Consul delegate to Egypt. B of the health, to Colonel Stanton, August 6, 1868.

(٤) F.O. 78/2041, No. 89. from Edw - Stanton to lord Staenley Alex. August 7. 1868 .

ورغم أن تقارير موظفى الصحة ولجنة التفتيش الصحى كانت تتسم بالغموض وعدم الإفصاح عن حجم الإصابة بالوباء، فإن الحكومة كانت تلجأ فى بعض الأحيان إلى التستر تماما على وباء الماشية وعدم الإفصاح عن حدوثه عندما انتشر بالبلاد فى مارس ١٨٦٩م(١) .

وإذا كانت الحكومة قد تسترت على حدوث وباء الماشية فى عام ١٨٦٩م، ربما لعدم شدة الإصابة به أو لعدم إثارة الفزع بين الأهالى فإنها لم تستطع أن تتستر على حدوثه فى عام ١٨٧١م حيث ظهر الوباء فى أول يونيه من هذا العام، وكانت بدايته غير شديدة حيث ظهر فى بعض المناطق فيما بين القاهرة وبنى سويف. واعتقدت الحكومة أن ذلك الوباء قد حدث نتيجة الإصابة بالعدوى من الحيوانات الواردة من افريقيا، ولذا فقد بادرت الحكومة بوضع كل الحيوانات القادمة من الساحل الافريقى إلى ميناء السويس تحت الحجر الصحى(٢). ورغم هذه الإجراءات فإن الحكومة لم تتمكن من السيطرة على الوباء وحصره فى مناطق ظهوره حيث لم يكد شهر يونيه ينتصف إلا وكان ذلك الوباء قد تفشى فى كل انحاء مصر(٣).

---

(١) F.O. 78/2094. No 7. from Col. to Stanton, March 2, 1869. ملحق رقم ٢ .

(٢) FO. 78/2187. No.1. from Lionel Moore to Earl Granville, Alexandria, June 1 , 1871.

(٣) F.O. 78 /2188 . No 6. from H. B.M. Consulate Cairo , E.T. Rogers to Earl Granville, Cairo, 16 june 1971.

وإزاء تفشى الوباء بهذه الصورة المفزعة فإن الحكومة اضطرت إلى اتخاذ اجراءات أخرى أكثر صرامة، فحرمت ذبح الماشية ذات القرون ، ومنعت بيع اللحم البقرى فى محاولة منها لحصر الوباء والقضاء عليه إلا أنهـا فوجئت بظهور وباء آخر بين الخيول . وكان الوباء الجديد متخذا شكلا آخر عن وباء الماشية حيث أنه يهاجم الخيول وتستمر اصابتها به لمدة يومين أو ثلاثة وبعدها تلقى الخيول المصابة به حتفها على الفور (١)، وكانت الحكومة تضطر إلى شراء الخيول اللازمة لإسطبلاتها من الشام لتعويض النقص الذى حدث نتيجة لتفشى وباء الخيول (٢) .

ومن الواضح أن فصل الصيف كان دائما الفترة المناسبة لظهور وباء الماشية فى مصر وتفشيه بها وكلما إزدادت شدة الحرارة إزداد الوباء حدة، حتى إذا ماأوشك الصيف على الانتهاء تكون حدة الإصابة بالوباء قد خفت إلى حد كبير وتلاشت الإصابة به ، فلم يكد صيف ١٨٧٢م يحل إلا وظهرت الإصابة بوباء الماشية (الطاعون البقرى) مرة أخرى فى أول يوليه وكان ظهوره هذا العام فى قرية قرب أسيوط .

---

(١) F.O 78/2188.No.7. from E.T. Rogers to Earl Granville, Cairo, june 18, 1971.

(٢) محافظة الداخلية ، اوامر تركى . محفظة ٣ ف ٦٥ فى ٨ شعبان ١٢٧٥ هـ (١٣ مارس ١٨٥٩م) من محمد سعيد الجناب العالى إلى صاحب السعادة ناظر الداخلية .

وخوفا من أن يتفشى الوباء كالعام السابق فإن الحكومة لم تتوانى فى إتخاذ الاجراءات السريعة لمنع انتشاره[١].

ولم يكد يمر شهران على ظهور الإصابة بطاعون الماشية فى الصعيد إلا واشتدت وطأته فى المناطق التى ظهر بها حيث أن ثلاثة أرباع عدد الماشية الموجودة بإسنا قد نفق[٢]، وخوفا على صحة الأهالى من انتقال العدوى اليهم من لحوم الماشية فقد استقدمت الحكومة طبيبا بيطريا أجنبيا ليعمل بمحل الإدارة الصحية بالقاهرة وكلفته بالكشف على المواشى المخصصة للذبح قبل ذبحها وبيع لحومها للأهالى ومنحته مرتبا شهريا قدرة ٨٠٠ قرشا[٣].

وكعادة كل صيف يظهر وباء الماشية فى مصر، وكان ظهوره هذا العام فى مديرية اسيوط بصعيد مصر فى يونيو عام ١٨٧٣م . وكاجراء وقائى فقد بادرت الحكومة بمنع انتقال الماشية من الصعيد الى المناطق الأخرى خوفا من انتقال عدوى الوباء إليها.[٤]وقد أدت الإصابة بالوباء

---

(١) F.O. 78/2231 No. 22. from Stanton to Earl Granville, Alex - July 1st 1872.

(٢) F.O. 78/2231 No. 7. from H.H. Calvert to Colonel Edward Stanton. Alex, August 30, 1972.

(٣) دفاتر المجلس المخصوص . دفتر ١٧ وثيقة ٢٠٤ ص ٦٣ فى ٢٢ صفر ١٢٩٠هـ (٢١ ابريل ١٨٧٣م) من المجلس المخصوص إلى ديوان الداخلية.

(٤) F.O. 78/2285. No. 5 from Vivian to Earl Granville Alexandria, june 16- 1873.

إلى موت خمسة وأربعين رأس ماشية بمديرية أسيوط وحدها فى الفترة من ٢٦ مايو إلى ٧ يونيو من نفس العام(١).

الوباء فى عام ١٨٧٤:

أما فى عام ١٨٧٤م فقد حل الوباء بمصر مبكرا عن موعده المعتاد حيث ظهرت الإصابة به فى فصل الربيع وذلك عندما تفشى فى مديريات الغربية والمنوفية والدقهلية فى منتصف شهر مارس من ذلك العام(٢) ، ولم يكد فصل الصيف يبدأ إلا واشتدت وطأة الوباء وانتقلت عدواه إلى الأقصر والمدن القريبة منها فى صعيد مصر حيث اصيبت به ١٦٠ بقرة فى الأقصر وحدها ونتج عنه موت نصف عدد الأبقار التى أصيبت به . فضلا عن موت ٢٠٪ من الجاموس الموجود بها نتيجة اصابتها بذلك الوباء أيضا. ومما تجدر الإشارة إليه أن نسبة نفوق الماشية التى ماتت نتيجة للاصابة بهذا الوباء كانت أعلى بين مواشى الطبقات الفقيرة عنها لدى الموسرين مما زادهم فقرا على فقر (٣) والمرجح أن ذلك حدث لعدم

(١) F.O. 78/2285. No.5. from I. Mackie to the Hon. H.C. Vivian .Alex - june 14.1873.

(٢) F.O 78 / 3007. No 23 from H.H. Calvert to C. vivian, Alex- March 18 - 1874.

(٣) F.O. 78/3010. No. 16 . from H.M. Legal V. consulate to the Marquis of Salisburg. Cairo, 22 July 1874. ملحق رقم ٣

قدرتهم على الانفاق على علاجها أو لأن الحكومة كانت تهتم بعلاج مواشيها أولا قبل مواشي الأهالي، أو لتستر الأهالي على اصابة مواشيهم بالوباء .

ومما تجدر الإشارة اليه أن الأوبئة البيطرية التى أصابت قطعان الأبقار والجاموس فى مصر فى هذا العام لم تقتصر على الماشية فقط بل أصابت حيوانات أخرى، حيث ظهر وباء خطير بين صغار الخنازير فى مدينة الاسكندرية ، وخوفا على الصحة العامة فقد بادرت الحكومة باتخاذ بعض الاجراءات الوقائية مثل منع بيع وذبح هذه الحيوانات كما فرضت حجرا صحيا على الخنازير الواردة من الخارج الى مصر لمدة عشرة أيـــــام(١).

ولما كان وباء الماشية فى هذا العام قد حدث مبكرا فى فصل الربيع فكان من الممكن القضاء عليه مبكرا قبل أن تزداد حدته مع شدة حرارة الصيف، ولكن الكثير من الأهالى ممن أصيبت مواشيهم بالوباء لم يبلغوا عنها(٢). وربما كان ذلك راجعا إلى يأس الأهالى من شفاء مواشيهم لتوالى ظهور الوباء فى مصر منذ عدة سنوات متواليـــه، أو

---

(١) F.O. 78/3007. No.3. from C. Vivian to the Marquis of Salisburg. Cairo. Jan. 3 lst 1874.

(٢) F.O. 78/3007 No. 31. from H.M. Consulate to. H.H Calvert to C. Vivian. Alex. May 10 .1874 ملحق رقم ٤

لأنهم كانوا يرون أن هذا الوباء إنما هو عقاب إلهى نزل بهم ويعتقدون "أن أمراضها آتية من الله" ومن ثم فلن يستطيع أحد علاجها [١]. ونتج عن هذا التستر إطالة أمد الإصابة بالوباء مما حدا بالوالى إلى أن يطلب من الدائرة السنية أن توافيه بتقرير يومى عن مدى الاصابة به فى كل أنحاء القطر [٢].

الوباء فى عام ١٨٧٦:

ومن الجدير بالذكر أن أخبار الإصابة بوباء الماشية قد انقطعت طوال عام ١٨٧٥م وحتى منتصف العام التالى حيث أعلن مجلس الصحة عن تفشى الإصابة بمرض التيفوس بين الخيول، وأن الإصابة بهذا الوباء قد وصلت إلى حد مخيف حيث أصيب به مايقرب من خمسمائة من الخيول الخاصة بسلاح الفرسان ، وأن الإصابة بهذا الوباء بدأت فى مدينتى الأسماعيلية والتل الكبير فى شهر يوليو ثم انتقلت عدواه إلى اصطبلات سلاح الفرسان الموجودة بمدينتى الزقازيق ومنيا القمح ، وقد ذكر "كوليوس باشا" الجراح البيطرى الذى عهد اليه بمهمة فحص وعلاج تلك الخيول بأن سبب تفشى الوباء يرجع إلى العقبات التى صادفها أثناء مهمته من المجلس الصحى فضلا عن تكتم الهيئات العسكرية على

---

(١) Hamont P.N. : Op. Cit . P.P. 128. 129.

(٢) دفاتر معية عربى : دفتر ٣ ص ٣٧ وثيقة ١٩ فى ٨ ذى القعدة ١٢٩١هـ (١٨ ديسمبر ١٨٧٤م) من سعادة مهر دار خديوى إلى الدائرة السنية.

اصابة الخيول بهذا الوباء، ولكن د نيروتسوس بك رئيس مجلس الصحة رد على ذلك بأن المجلس لم يقصر ولم يضع أى عراقيل أمام الجراح البيطرى ، وأرجع تفشى الوباء إلى قلة الجراحين البيطريين «حيث لايوجد غير جراح بيطرى واحد لكل اقليم »(١).

وقد أعلن مجلس الصحة أن حدوث الإصابة بهذا الوباء جاء نتيجة لجلب بعض الخيول من الحبشة أثناء عودة الحملة المصرية منها، وأعلن انه تم القيام بالعديد من الاجراءات الصحية لتطويق هذا الوباء ، وأعلن أيضا أن إدارته ستظل عاجزة عن القيام بواجبها الصحى على الوجه الأكمل فى هذا المجال بسبب قلة الجراحين البيطريين المدربين فضلا عن عدم الاهتمام بنشر الوعى الصحى البيطرى بين عامة الشعب(٢).

وفى صيف هذا العام - وكالعادة - ظهرت الإصابة بوباء الماشية فى صعيد مصر وخاصة فى مديريتى إسنا وقنا خلال الفترة من أول مايو حتى منتصف أغسطس وكان لهذا أثره على تصدير المنتجات الحيوانية كالجلود والقرون إلى الخارج . أما عن وباء التيفوس فقد تفشى بشدة بين الخيول فى شهر أغسطس وأودى بحياة مئات الخيول بالقاهرة وحدها، وكان متخذا شكلين أحدهما حاد والآخر أخف حده ، وقد وجد أن حقن

---

(١) F.O. 78/2506. No 28. from H.H. Calvert to C.A. Cookson . Alex . August 26, 1876.

(٢) F.O 78/2506 No. 28 . Ibid .

الكينا وحمض (الكربوليك) تحت الجلد مفيد فى علاج مثل هذه الحالات [١].

وللقضاء على ذلك الوباء ومنع انتشار عدواه فقد نبه رئيس مجلس الصحة على الشرطة مشددا بالابلاغ عن أى حصان مريض ، كما نبه مشددا على محافظ القاهرة بمنع إرسال الخيول المريضة الى الصعيد، كما منع جلب أية خيول من المناطق المصابة ، ورغم التنبيهات المشددة التى أعلنها رئيس مجلس الصحة فإن كثيرا من الأهالى - من المناطق المصابة بالوباء- تقدموا بالعديد من الشكاوى إلى مجلس الصحة ينتقدون فيها تراخى السلطات الحكومية وإهمالها فى تنفيذ الإجراءات التى طالب مجلس الصحة بتنفيذها للقضاء على الوباء ، وأن هذا يمثل تهديدا خطيرا للصحة العامة فى البلاد [٢].

وقد اشتدت حدة الاصابة بالتيفوس بين الخيول فى شهر سبتمبر من نفس العام حيث انتقلت عدوى الوباء إلى الوجه البحرى ونتيجة لذلك فقد فرضت الدول الأوربية حظرا على انتقال الخيول المصرية اليها [٣].

وفى اكتوبر من نفس العام ظهرت الإصابة بوباء التيفوس بين الخيول فى الاسكندرية، وعلى الفور سارع مجلس الصحة يعاونه بوليس

---

(١) F.O.78/2506.No.29. from H.H. Calvert to C.A.Cookson. Cairo, September , 1,1876.

(٢) F.O. 78/2506. No. 29. Ibid .

(٣) F.O. 78/2506. No 54. from A. Cookson to the Earl of Derby . Alex. 2 ed September 1876.

المدينة ببذل قصارى جهده لتنفيذ اجراءات صحية غير عادية، منها دفن الخيول النافقة فى حفر عميقة يبلغ عمقها ثلاثة أمتار بعيدا عن المدينة، وفرضت على صاحب الحصان الميت دفع ستة عشر قرشا للأشخاص المكلفين بالدفن ، ولكن الحكومة ألغت تلك الضريبة بعد زيادة عدد الخيول النافقة نتيجة للوباء[١]. ومما تجدر الإشارة إليه أن الإجراءات الصحية التى أقرها مجلس الصحة قد نفذت بدقة فى الاسكندرية أكثر من أى مديرية أخرى[٢]. ويرجع ذلك إلى وجود المجلس الصحى بها واشرافه على تنفيذ تلك الاجراءات.

ومن الواضح أن وباء تيفوس الخيل الذى تفشى فى هذا العام كان أشد فتكا وأكثر خسارة للجميع سواء بالنسبة للحكومة أو للأهالى حيث بلغ عدد الحيوانات التي لاقت حتفها من جراء الإصابة به فى الوجه البحرى وحدة حوالى ثلاثة وثلاثين ألف رأس مابين جمل وحصان وبغل وحمار موزعة كالتالى: الشرقية ٤٧٠٠ رأس ، القليوبية ٢٠٠٠ رأس، الدقهلية ٤٥٠٠ رأس ، المنوفية ١٢٠٠ رأس ، الغربية ٤٠٠٠ رأس ، البحيرة ٤٦٠٠ رأس ، القاهرة ٦٣٠٠ رأس ، الاسكندرية ٢٥٠ رأس ، السويس ودمياط ٤٥٠ رأس ومن خلال هذه الأعداد نلاحظ أن أعلى نسبة للوفيات بهذا الوباء كانت فى القاهرة تليها الشرقية ثم البحيرة

---

(١) F.O. 78/2506. No 32. from H.H. Calvert to C.A. Cookson . Alex. October 4 th 1876.

(٢) F.O. 78/2506. No 56. from C.A.Cookson to Earl of Derby Alex. 5 th, October 1876.

فالدقهلية والغربية بينما كانت أقل نسبة للموت به فى الاسكندرية ، وهذا يرجع إلى تطبيق الإجراءات الصحية التى أقرها مجلس الصحة بكل دقة[١].

ومما لاشك فيه أن هذا الوباء كان مدمرا وفتاكا لدرجة أنه فتك بثلاثة آلاف رأس من خيول سلاح الفرسان البالغ عددها أربعة آلاف حصان . كما قضى على ثلاثة آلاف وخمسمائة حصان من إجمالى الخيول المملوكة للحكومة وعددها خمسة آلاف حصان[٢].

وفى صيف عام ١٨٧٧م ظهرت إصابات جديدة بوباء الماشية فى الوجه البحرى، لكن الاصابة به كانت منخفضة إذا ماقيست بمثيلاتها فى الأعوام السابقة[٣].

وكما بدأت سنوات حكم اسماعيل بتفشى وباء الماشية فقد اختتمت بتفشيه أيضا ، ففى صيف ١٨٧٩م – وكالعادة – تفشى وباء الماشية فى صعيد مصر حيث حدثت الإصابة به فى مديريتى قنا والأقصر

---

(١) F.O. 78/2506. No 41. from H.H. Calvert to H.C.Vivian Alex . December 4, 1876.

(٢) American Archive.Despatch No. 85. Vol. 13 P. 32. Agency and Consulate General of the U-S.in Egypt. Cairo Dec. 28, 1876.

(٣) F.O. 78/2637. No 29. from H.H. Calvert to C.Vivian. Alex. Septmber 17, 1877.

وقد بادرت السلطات الصحية على الفور باتخاذ كافة التدابير الوقائية لحصر الوباء ومنع انتشاره . ورغم كل تلك الإجراءات التى بذلتها الحكومة لمقاومته فإنها لم تفلح فى القضاء على الوباء الذى افترس معظم الماشية التى يمتلكها الأهالى(١).

وأمام تفشى الوباء بهذه الصورة وفتكه بمواشى الأهالى فقد قررت الحكومة معاقبة أصحاب المواشى التى تموت نتيجة اهمالهم بتوقيع غرامة مالية عليهم(٢).

ومما تجدر الاشارة إليه أن توالى حدوث الإصابة بأوبئة الحيوانات طوال عصر اسماعيل تقريبا قد زاد حال الفلاح بؤسا على بؤس حيث زاد عليه الظلم ، وتدهور انتاج القطن ، ونفقت الماشية وساءت أحوال الأهالى(٣) مما اضطر الخديو فى بعض الأحوال إلى استيراد السمن

---

(١) F.O. 78/3010. No 17. from H.M.S. legal V. Consulate to the Marquies of salisburg. Cairo. 29 July 1879.

(٢) محافظ مجلس الوزراء نظارة الداخلية محفظة ٢/١١/أ مصلحة الصحة العمومية (الأوبئة) مجموعة ١٥ صحة ، وثيقة ١٨١ فى ٢٣ جماد آخر ١٢٩٧هـ (٣ يونيو ١٨٨١م) من رئيس مجلس عموم الصحة إلى ناظر الداخلية.

(٣) أبو نظارة زرقاء ، العدد ٢٢ ، السنة الثالثة يوم الثلاثاء ١٩ أغسطس ١٨٧٩م.

والماشية من الخارج وتوزيعها مجانا على الفلاحين أو بيعها لهم بأسعار مخفضة[(١)].

ورغم شدة تفشى أوبئة الماشية فى مصر طوال عصر اسماعيل تقريبا ، فقد كانت هناك بعض السنوات التى لم تظهر فيها الإصابة بالوباء ورغم ذلك فقد كان البعض يروح الاشاعات المبالغ فيها عن حدوث الإصابة بالوباء فى وقت تحصيل الضرائب المفروضة على الماشية ، وكان الهدف من ذلك هو التهرب من دفع تلك الضرائب[(٢)].

ولما استعصى على الحكومة مواجهة أوبئة الحيوانات بسبب تستر الأهالى على الحيوانات المصابة لديهم وعدم الإبلاغ عنها ، أو بسبب تهاون مشايخ البلاد فى الابلاغ عن الحالات المصابة ، فقد أصدر مجلس الصحة قانون الصحة البيطرية الذى يعاقب صاحب الحيوان الذى يموت ويدفن دون ابلاغ المجلس الصحى عنه بتغريمه مبلغ مائة قرشا ، كما يعاقب كل من يلقى بجثث الحيوانات النافقة فى المجارى المائية أو البرك بتغريمه مبلغ مائتى قرشا. أما شيخ البلد أو حكيم القسم أو حكيم بيطرى المديرية الذى يعلم بحدوث الإصابة بالوباء دون الابلاغ عنه

---

(١) يوسف بدر الدين : الطب الاجتماعى . اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ سنة على وفاته . ص٣٦٠.

(٢) محافظ معية عربى . محفظة ١٣. وثيق ٥٥٧ فى ١٥ ربيع آخر ١٢٨٥هـ (٥ أغسطس ١٨٦٨م) من اسماعيل صديق باشا ناظر المالية إلى المعية السنية. ملحق رقم ٥.

فيعاقب بتغريمه مبلغ ثلاثمائة قرشا، وعلى الطبيب البيطرى الذى يتلقى تقرير شيخ البلد عن حدوث إصابة أن يبلغ التقرير إلى المجلس الصحى فى خلال مدة لاتتجاوز ٢٤ ساعة وإلا تعرض للعقاب(١).

ولما كان الضرر قد تسرب إلى صحة الأهالى من جراء تناول لحوم مصابة بالوباء أو عدم توخى الأصول الصحية التى يجب اتباعها بمحلات الذبح أو فى تجارة الجزارة مما أدى إلى حدوث الكثير من الضرر للأهالى بسبب عدم وجود " سلخانات عمومية". ولذا فقد قررت الحكومة انشاء سلخانات عمومية فى القاهرة، وطنطا و المنصورة ، وفى بعض المراكز الكبيرة ، وأصدرت لها لائحة خاصة لإدارتها وتنظيم «تجارة الجزارة» حفاظا على الصحة العامة(٢).

وهكذا فإن الأوبئة البيطرية التى تفشت فى مصر فى عصر اسماعيل كان لها اثارها السلبية على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والصحية حيث نتج عن تفشى تلك الأوبئة خسارة مصر لعشرات الملايين من الجنيهات نتيجة موت عشرات الآلاف من الحيوانات واستيراد غيرها بأسعار مرتفعة مما أثر على قيمة الارباح المتوقعة من أسعار القطن المرتفعة فى تلك الفترة . كما أن محصول القطن هو الآخر قد تأثر فى

---

(١) محفوظات مجلس الوزراء . نظارة الداخلية ، محفظة ٢/٩/أ ، مجموعة ٩ داخلية ، مصلحة الصحة - خدمات بيطرية فى ٤/٨/ ١٨٨٠.

(٢) محفوظات مجلس الوزراء . نظارة الداخلية ، محفظة ٢/٧/ب خطاب وارد من صحة مصر العمومية لنظارة الداخلية . بتاريخ ٢٢ يونية ١٨٨١م ، مجموعة ٦ طب بيطرى.

بعض السنوات بسبب تفشى الوباء وموت أعداد هائلة من الماشية مما أدى إلى تعطل السواقى والأعمال الزراعية الأخرى بينما كان المحصول لايزال فى طور النمو.

وإذا كان تفشى الأوبئة البيطرية قد أثر على الثروة الحيوانية فإنه أثر من جهة أخرى على صحة الانسان حيث انتقلت اليه عدوى بعض أمراض الحيوان نتيجة أكل لحوم مصابة بالوباء وخاصة وباء (القلاع الحيوانى) مما جعل الحكومة تهتم بالثروة الداجنة فضلا عن الاهتمام بانشاء السلخانات العمومية.

وكان توالى تفشى الأوبئة البيطرية في مصر فى عصر اسماعيل بمثابة كوارث نزلت على رأس الفلاح قبل غيره حيث فقد مواشيه وتعطلت اعماله الزراعية وازدادت حياته بؤسا على بؤس . كما أثر تفشى الأوبئة على صادرت الحكومة من المنتجات الحيوانية كالعظام والجلود التى انخفضت كمية الصادرات منها إلى حد كبير مما أثر سلبا على الدخل القومى لمصر فى تلك الفترة .

وإذا كان للأوبئة البيطرية التى تفشت بمصر آثارها السلبية على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والصحية فى مصر فى عصر اسماعيل فإنها من جهة أخرى كان لها آثارها الايجابية على دخول مصر إلى عصر التكنولوچيا المتقدمة حيث كانت إعاشة الماشية تستهلك قدرا كبيرا مما تغلة الأرض، فضلا عن الخسائر المادية التى لحقت بالبلاد من جراء نفوق اعداد هائلة من الماشية، ولذا فقد وجد أنه من الأفضل اقتصاديا استخدام قوة البخار فى المزارع الكبيرة نظرا لرخص أسعار الفحم وسهولة الحصول عليه من الخارج فى تلك الفترة.

ملاحق البحث

ملحق رقم ١

عشرة ملايين دولار قيمة خسائر مصر نتيجة تفشى وباء الماشية بها عام ١٨٦٣م

American Archive, Vol. 3.P 221. Despatch No. 36.
U.S.Consulate Alex. June 18. 1863 .
Hon William H. Sweward,
Secretary of State,
Washington,

Sir,

The murrain among Egyptian Cattle which in my last 2 mentioned as subsiding, has taken a new start, and threatens to equal in virulence that of the year 1847 which carried off almost the whole stock in the country . Even the new Supplies which come from upper Egypt, the Barbary Coast, and Anatolia in Asia Minor Soon fall victims to the disease. On some large estates all the animals employed in turning the water, sheals and the other processes of agricalture have been destroyed. This is a serious injury to the growing Cotton Crops, requiring an immediate resort to horses and steam machinery.

In fact, I am informed that the Vice Roy intendes, imitating the successful experiments of his uncle Halim pacha, to Order at once forty steam ploughs and steam pumps to supply apart of the necessities of his own plantations. The loss to Egypt from murrian will, it is supposed , not fall short of ten million dellars which will considerably reduce the profits expected from the present high prices of cotton.

At first, it was hoped by vigorous, sanitary measures, such as prohibiting cattle fairs and the removal of cattle from one village to another, and by buying the dead at once, entire, including skins, hoofs and horns, to confine the postilence to the west side of the Nile where it commenced , but all hope of resistance failed a few days since when it crossed over the Delta where it soon destroyed seventy or eighty per cent for the cattle on the estates on which it has appeared in consequence of the panic thus occasioned, although all beaf is slaughtered and brought to market under the surveillance of the government health officers, it was ceased to be a favorite article of food. My servant tells me this morning that none is to be had in the market.

The result of the diminution of cattle will doubless be the importation of new stock which is said to be worth about $ 250 a head, besides, as already mentioned, the extended use of steam machinery such as steam ploughs and steam pumps in agriculture It requires perhaps one third of the land to sustain the laborers and animals needed in cultivating, it, and it is found on large estates more economical to use steam, especially when, as now, coal can be bought at $ 10 a ton including original Cost and expense of transportation from England. It Seems to me that in the supply of machinery of his kind, the manufacturers of the United States ought to be able to compete with England which now almost monopolizes this branch of industry.

ملحق رقم ٢

إنتشار طاعون الماشية في مصر وتكتم الحكومة على اخباره

F.O. 78/2094. No. 7. from Col.to Stanton . March 2, 1869.

I am directed by the earl of clarsendon to transmit ot you an extract of a despateh from H.M. made to him by a member of the Belgian gov. with respect to the a lleged existance of the Cattle plague in Egypt although the fact is Concealed by authorities and I am to instruct you to make immediate inquiries in to this matter with the view of ascertaining whether there is any what foundation for this report.

ملحق رقم ٣

سوء حالة ماشية الطبقات الفقيرة المصابة بوباء الماشية

F. O. 78/3010. No. 16. from H. M. Legal V. Consulate to the Marquis of Salisburg. Cairo 22 July 1874.

I have the honour to transmit to your lordship translation of a report from the consulate agent at Luxer respecting the progress of Cattle plague in his district.

It appears there from that three fourths of the Cows at Luxor and kurnac have been attacked by the disease and that half the number of casses have proved fatal . The deaths on Buffaloes have been 20 per Cent.

The loss of Cattle that are Owend only by natives may increase the distress which is already appearent in the poor classes of the people in that district.

ملحق رقم ٤

١- عدم صحة التقارير الطبية الخاصة بالوباء .

٢- تكتم الاهالى على وجود الاصابة بالوباء بين مواشيهم .

F.O . 78/3007 . No. 31. from H.M. Consulate to H. H. Calvert to C. vivian . Alex . May 10 . 1874.

I have the honour to inform you that at a meeting of the Egyptian Board of health today, it was decided that no further annotation should be made on Bills of health relative to the existance of Cattle - plague in Lower Egypt, the disease having ceased to exist about the middle of April.

The information given in afurther medical report on the disease Contains no trustworthy statistical details of the mortality among Cattle, as the natives are prone to conceal the existence of the malady among their animals, but it has appearently been slight and the medical reports has inferentially drawn from the fact of his not having noticed any cases (....) his tom of inspection, that the disease has now disappeared.

ملحق رقم ٥

ترويج الاشاعات عن اصابة المواشى بالوباء للتهرب من دفع الضرائب المفروضة عليها

محافظ معية عربى. محفظة ١٣ وثيقة ٥٥٧ ، فى ١٥ ربيع الاخر ١٢٨٥هـ (٥ أغسطس ١٨٦٨م) من اسماعيل صديق باشا ناظر المالية الى المعية السنية .

ما بلغ مسامع افندينا عن ظهور مرض فى البهائم نفق بسببه كثير منها: خبر مصطنع مبالغ فيه اشاعه المتبعون فى زمن تحصيل عوايد البهائم لقصد ، ومع هذا فقد ألفنا مجلسا من الحكما وبعتناه إلى الجهات التى يقال عن حدوث المرض فيها ، فذهبوا وحققوا ووضعوا هذا التقرير ، وهو مرسل اليكم ومن اطلاعكم عليه تعلمون الحقيقة فتعرضونها على مسامع افندينا.

المصادر والمراجع

أولا: وثائق غير منشورة:

أ- وثائق عربية :

١- دفاتر معية سنية عربى :
دفتر رقم ٣ .

٢- دفاتر معية سنية تركى :
أرقام ٥٢٦ ، ٥٣١ ، ٥٣٤ .

٣- دفاتر ديوان مدارس عربى :
دفتر رقم ٥ .

٤- محافظ معية سنية عربى :
أرقام ٥ ، ١٣.

٥- محافظ الداخلية :
محفظة ٣ أوامر تركى .

٦- محافظ مجلس الوزراء : (نظارة الداخلية):
أرقام ٢/١١/أ ، ٢ /٧/ب

ب- الوثائق الأجنبية :

*** الأرشيف الأمريكى:(الموجود بدار الوثائق القومية بالقاهرة)**

1- American Archive . Vol.3. Despatch No. 36.
2- American Archive. Vol. 3. Despatch No. 85.

*** وثائق وزارة الخارجية البريطانية: (الموجودة بدار الوثائق القومية بالقاهرة)**

1- F.O. 78/1969. No . (.).
2- F.O. 78/2187. No 7.
3- F.O . 78/ 2258 No. 5.
4- F.O. 78/2188. No. 6.

5- F.O . 78/ 2188 No. 7.
6- F.O . 78/ 2094 No. 7.
7- F.O . 78/ 2231 No. 7.
8- F.O . 78/1983 No. 9.
9- F.O . 78/ 3010 No. 16.
10- F.O . 78/ 3010 No. 17.
11- F.O . 78/ 2042 No. 17.
12- F.O . 78/ 2231 No. 22.
13- F.O . 78/ 3007 No. 23.
14- F.O . 78/ 3007 No. 24.
15- F.O . 78/ 2506 No. 28.
16- F.O . 78/ 2506 No. 29.
17- F.O . 78/ 2637 No. 29.
18- F.O . 78/ 3007 No. 31.
19- F.O . 78/ 2506 No. 32.
20- F.O . 78/ 2506 No. 41.
21- F.O . 78/ 2506 No. 54.
22- F.O . 78/ 2506 No. 56.
23- F.O . 78/ 2041 No. 76.
24- F.O . 78/ 2041 No. 89.

ثانيا: الدوريات:

أبو نظارة زرقاء – العدد ٢٢. السنة الثالثة ، فى ١٩ أغسطس ١٨٧٩م.

ثالثا: الرسائل العلمية:

١- اسماعيل محمد زين الدين : الموظفون الأجانب ودورهم فى الادارة المصرية ١٨٢٠ -١٨٨٢ - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ١٩٨٣م.

رابعا: المراجع العربية:

١- أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر فى عصر محمد على، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٨م.

٢- صالح رمضان محمود: الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر اسماعيل٦٣-١٨٧٩م،منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٧م.

٣- كلوت بك ، ترجمة محمد مسعود : لمحة عامة إلى مصر، جـ٢ ، مطبعة إبى الهول، القاهرة ، بدون .

٤- على شلبى : الريف المصرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ١٨٤٧-١٨٩١م ، طبعة أولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

٥- يوسف بدر الدين : الطب الاجتماعى ، بحث منشور فى اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ سنة على وفاته، القاهرة، ١٩٤٥م.

خامسا: المراجع الأجنبية:

1 - Dunne . J. H. : An Introduction to the history of Education in Modern Egypt , London, 1968.

2- Hamont. P.N. : Le Egypte sous Mohamed Ali, Paris , 1943.